الفيصل

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد الحادي عشر - المجلد الثالث ١٩٩٠م - ١٤١٢هـ

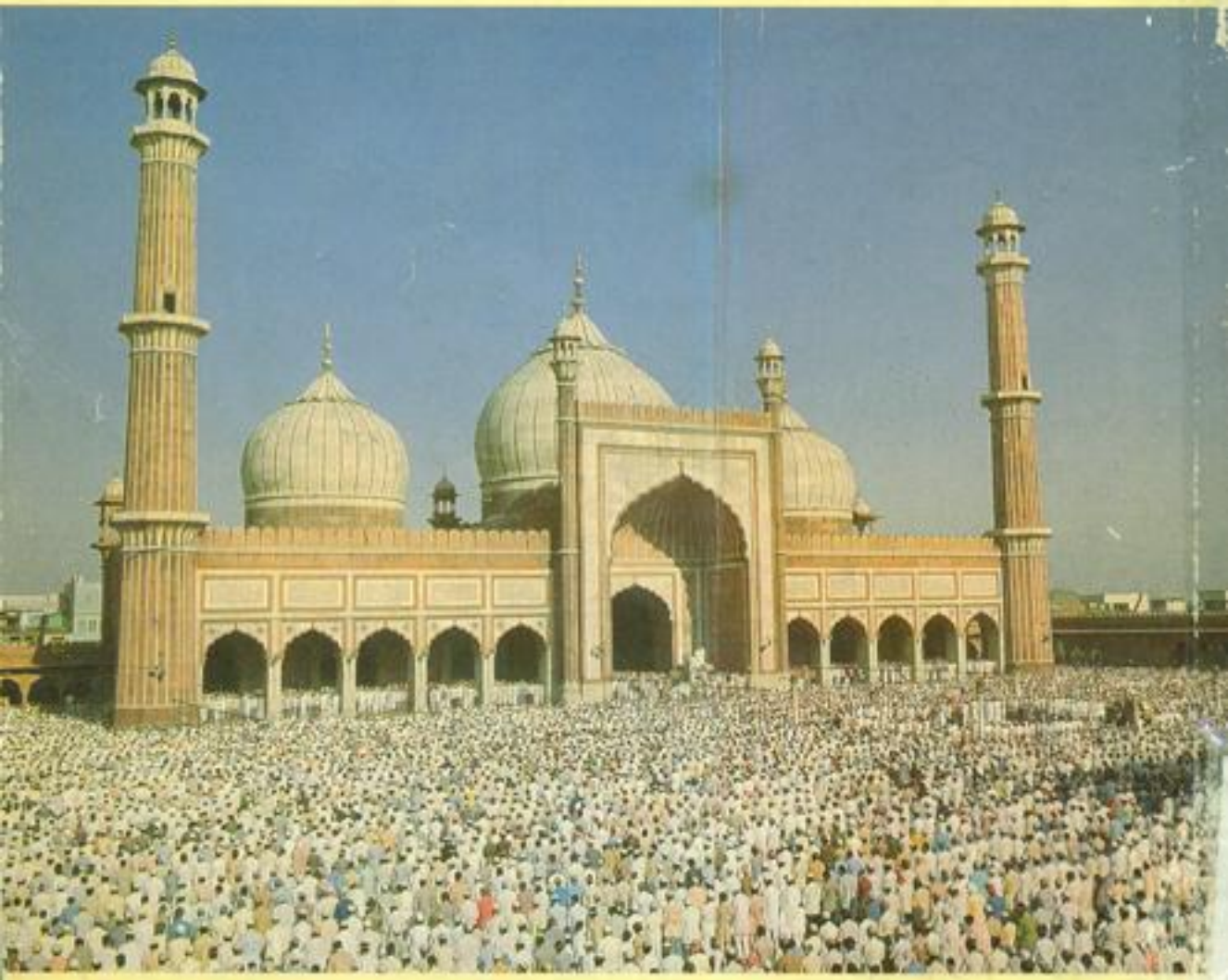

المسجد الجامع في دلهي - الهند

الموسم

فصلية
مجلة
مصورة تعنى بالآثار والتراث

شتاره ثبت ١٣٥٠٤٩
تاريخ ١ خرداد ١٣٨٩
٢١ /١٠/ ١٣٨٩

تصدر عن دار الموسم للإعلام
المراسلات : بيروت ـ لبنان ص.ب ١١٣/٥١٤٤

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

الموزعون :

المملكة المتحدة ـ لندن ـ مكتبة الساقي
AL SAQI Books 26 WESTBOURN GROVE, LONDON W2 5RH TEL: 071-2298543, FAX: 071-2297492, TELEX: 919595G

دولة البحرين ـ مكتبة الريف الثقافية ـ شارع حد حفص ص.ب ٢٠٠٣٠ هاتف ٦٤٠٧١٣ ـ ٢٥٠٧٢٤ ، فاكس ٢٥٠٧٢٤ .

لبنان ـ المؤسسة العالمية لتوزيع الكتاب ـ بيروت ص.ب ٧٩٥٢ هاتف 835550-835820 تلكس FAGER-20398LE

سلطنة عمان ـ مكتبة المعرفة ـ مطرح ـ شارع الكورنيش ص.ب ٦٧٦٣ هاتف ٧١٣٦٠٧ فاكس ٧١٤٥٣٩

الهند NAGAFI HOUSE,159 Nishan pada rood Bombay - 400009 Tel: 8720350 - 8513299 - 861455

ايران ـ انتشارات صادق ـ تهران ـ خيابان ناصر خسرو ـ كوچه حاج نايب باساژ مجيدي تلفون ٣٩١٤٠١ ـ ٨٥٢٣٢٥

فرنسا ـ ABBAS AL BOATANI, 12 rue SADI CARNOT 92120 MONTROUGE Tel: 42536728

الاشتراك السنوي: للافراد ٤٣٠ وللمؤسسات ٤٥٠ يرسل باسم صاحب المجلة الى
بنك الاعتماد اللبناني فرع شتورة ـ لبنان رقم الحساب:
CRÉDIT LIBANAIS SAL AGENCE: CHTAURA, Lebanon No: 20.01.161.23138.00.10

المواد المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

فيلسوف من جبلة

أحمد محمد حيدر

(١٣٠٨ ـ ١٤٠٥هـ)

ولد العلامة الفيلسوف أحمد محمد حيدر في قرية «جلة عازار» من منطقة جبلة في محافظة اللاذقية الجمهورية العربية السورية عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٨٨ م.

نشأ وترعرع في بيت تقى وعلم فورث عن والده ـ رحمه الله ـ الورع والتُقى وعلو الهمة وشيئاً من ثروة حاول في البداية تنميتها ثم المحافظة عليها فلم يوفّق فكان ذلك عنده «أعظم التوفيق»[1] إذ بدأت كفة ميله إلى العلم ترجح. فدرس التركية في صباه حتى أجادها، كما أجاد العربية، نحوها وصرفها من خلال الكتب التي كانت شائعة في عصره «كالأجرومية وغيرها». وقد ولع علامتنا الجليل في فجر حياته بالأدب أيّ ولع، فقرأ روائعه ودرس سير أعلامه. وبفضل ذكائه الثاقب وحافظته القوية فقد تمكّن من حفظ الكثير من عيون الشعر وبديع الخُطَب وبخاصة خطب نهج البلاغة، كما وعى أخبار الأعلام من روّاد الأدب العربيّ والعالميّ، إذ لم يعزلْ نفسه عن الأدب العالمي فقرأه مترجماً. لكن ولعه بالأدب لم يقللْ من رغبته في الفهم والعرفان، ولم يخففْ من شوقه إلى البحث والتحري، ففي كلّ كتاب يقرؤه ومع كلّ عالم يلتقيه كان يتطلّعُ إلى معنىً وراء الكلمات يشبعُ لهفته ويروي ظمأهُ إلى المعرفة لكأنّ لعلامتنا موعداً مع الغيب ينتظرُه. وهكذا راح الفتى ينجذبُ رويداً رويداً إلى ميدان العلوم الإلهيّة رغبةً في معرفة بواطنها، ووصولاً إلى فهم خفايا الأسرار. ولم يطلْ بعلامتنا الزمن حتى غدا في طليعة العارفين الإلهيين، وشهد له بالتقدم معاصروه من العلماء الأفاضل، وقد آنس من نفسه ـ رحمه الله ـ هذه المعرفة الواسعة . . . . فتصدى لواحدٍ[2] من أجلّ الكتب الصوفية المخطوطة فشرحه وحلّله وقرّبه بذلك إلى أفهام الناس وسهّلَ عليهم تناوله. وأفادَ الشيخُ مما في الكتاب من عرفان فاتجه إلى

---

(١) كان المرحوم يردد هذه العبارة كثيراً ويحمد الله لتفرغه العلمي المحض.

(٢) هو كتاب تسبيه مؤلفه الصوفي حسن بن حمزه الحيراري.

﴿الشيخ أحمد محمد حيدر/ قدس سره﴾

نفسه يفتشُ في خباياها ليدركها ويبحثُ في جسده ليعلمَ ما هو ؟ وكيف وُجِدَ ؟ وأخذ يتساءلُ عن العلاقة القائمة بين نفسه وجسده ، كيف التقيا ؟ وما مصيرهما إذا افترقا ؟ وهل يصيران إلى الفناء ؟ أم إلى الخلود ؟ ثم أجال بصرهَ فيما حوله فتساءل عن الموجوداتِ كيف وجدت ؟ ومن أوجدها وهل تعرفُ موجدها ؟ وكيف تعرَّفت إليه ؟ ثم ما علاقةُ هذه الموجوداتِ به ؟ هذه الأسئلة وغيرها طرحها علاَّمتُنا الشيخُ على نفسه في رحلته للكشفِ عن أسرارِ الحياة والروحِ والخلق والخالق . وكان يجد في طرحها والسعي لإيجاد الإجابة عنها لذةً تفوق عنده كل لذة ، وسعادة لا تدانيها في نظره سعادة . وقد اهتدى علاّمتنا الشيخ إلى مكان وجودِ الإجابة عن أسئلته فيمَّم شطرها مستسهلاً في سبيل ذلك كلَّ أنواع الصعاب ، فتوجه إليها واجاً إلى حماها من بابها المشرع في رسالاتِ الأنبياء ، تلك الرسالاتُ السماوية التي جاؤوا بها وأذاعوها على الناس جهاراً أو التي كتموها مكتفين بالإشارة إليها ، كما وجد شيئاً من الإجابة عن أسئلته عند الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين هم وحدهم تأويل القرآن ـ إذ هم ثقله الثاني ـ وقد أتاهم الله ملكةَ الكشف وأفهمهم معرفته فأعلنوا بعضها دونَ تحفظٍ واكتفوا بالتلميح إلى بعضها الآخر صوناً للحكمة أن تعطى لغير مستحقيها ، ووجدَ بعضَ الأجابة عن أسئلته عند العلماء الإلهيين والفلاسفة الروحانيين فأخذ عنهم أيضاً ، ولم يعرْ سمعاً لأقوال الجاهلين فقد كانت الحكمةُ ضالته وشعارُه الدائم :

إن المذاهب كلُّها نورُ الهدى كأشعة الشمس افترقن إلى مدى
ولقاؤها في مصدر الأنوار

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وهكذا فإنَّ علاَّمتنا الشيخ في بحثه الدائب عن المعرفة قرأ القرآنَ الكريم وتفاسيره المتعددة ، وقرأ الإنجيلَ والتوراةَ واطَّلع على الفكرِ اليوناني وعقائدِ المصريين القدماء وأساطيرِ الهنودِ والعلومِ العصرية ، ثم حطَّ الرحالَ في حديقةِ الأميرِ حسن بن مكزون السنجاري ومزج بين ما وجدَ لديه وما هو عند الصوفي الجليل حسن بن حمزة الشيرازي والشيخِ الأكبر محي الدين بن عربي حيث تمكنَ في نهايةِ الأمرِ من الوصولِ «إلى نظريةٍ في وحدة الوجود ، من خلال صياغةٍ شملتْ كلَّ النظرياتِ السابقة ، محققاً ضرباً من التزواجِ بين نظريةِ الفيضِ أو الصدور ونظريةِ نور الأنوار والتجلي الإلهي . معتمداً بنفس الوقتِ على معطياتِ العلم الحديث ، وهنا تبرزُ عظمتُه كمفكرٍ عربي إسلاميٍ من الدرجة الأولى في العصر الحديث[٣]» .

قرأ علاَّمتُنا الشيخُ في رحلةِ عرفانهِ التنبيهَ وفصوصَ الحكم ومفتاحَ الغيب والوجود ورسائلَ إخوان الصفا والجامعة ومفتاح الغيب لصدر الدين القونوي ومشكاة الأنوار للغزالي ، وبيان السعادة لسلطان محمد الجنابذي وعلومَ الفلكِ والفيزياء . قرأ كل ما وصلتْ إليه يداه قراءةَ المتمعنِ المتبصرِ فحصَّل من المعرفةِ أطايبها . ولما امتلأتْ نفسُه بكنوزِ المعارف طلعَ على الناس مؤلفاً في العلومِ

(٣) محمد الرشد : وحدة الوجود في الفكر العربي ٢٢٨ ، دمشق ١٩٨٥ م .

اللا هوتية فأغنى الفكرَ الإنساني بأعمقِ المعارف وأجلّها ورفَد الحضارةَ البشريةَ بأسمى المفاهيم اللا هوتيةِ وأرفعها ، فكان ذلك صورةً لعقله النيّر وفكره الثاقب ونظره الثاقب . ففي الوقت الذي كان فيه العالمُ يقف متسائلاً في حيرةٍ ودهشةٍ حول صعود السفينةِ إلى القمر كان يردد بمنتهى الثقة واليقين : **«من زعمَ أن العلمَ يتنافى مع الدين فقد بلغَ من العلمِ مبلغ الرعاع ، ونال حصة الأعمى من الشعاع»** .

لقد كان علاّمتُنا الشيخُ رجلاً مؤمناً ـ إيمانُه مشيّد على قاعدةِ الفهم الحقيقي الراسخِ لأبعادِ العلوم العصريةِ وربطها بما يشيرُ إليها من حقائق أصولِ الدين الإسلامي ، وكان يثقُ ثقةً مطلقةً بأن ما يكذبُه بعضُ رجالِ الدينِ اليوم جهلاً به ، سيغدو بديهةً لدى شبابِ الغد الذين هم كتبَ وإياهم خاطبَ وعنى ولأجلِهم ضحّى ، وذلك إيماناً منه بسنّةِ التطور التي هي سنّةُ الحياةِ ، وانتصاراً للحق والحقيقةِ رفضَ البدعَ والانغلاقَ والتقوقعَ وأصمَّ سمعَه عن السفاسف ، متحلياً بأخلاق العلماء ، مترفعاً عن صغائرِ الأمور التي أثارها الجهلةُ من مدعي التديّنِ المتسمينَ ظلماً رجالَ الدين وكان يعلمُ أنّهم عن مكاسبهم لا عن الدينِ يدافعون ، وكثيراً ما عابَ على رجال الدينِ (من مختلف المِلَلِ) المفاضلاتِ التي يعقدونها بين مذاهبهم معلناً أنّ الدينَ لله وأنّ هذه المفاضلاتِ تدلُّ على ضحالةِ الفهم وقلّةِ المعرفةِ وكان يقولُ : على أنني اجتهدتُ أن أرى بدعةً كُوِّنَتْ إلاّ عن تحريفِ أصلٍ فلم أجدْ ، وجميعُ من تكلّم عن الأديانِ القديمة سواءٌ أرادَ المتكلمُ فهمَ التعرف على الدين فقط ، أم أراد إدانته أو مدحه ، كلهم نعرف (من تتبعهم) أن جوهرَ الأديانِ واحدٌ مهما اختلفَ مظهرُها وتباينتْ مشاربُها . على أن مما لا شكَّ فيهِ أن الأصلَ الذي لا يتسمح متزمتو رجال الدين أن يمسَّ ولو بذلُوا في سبيله كلَّ أصل ، إنّما هو عوائدُهم اللا أصولية والتي وقفَ علاّمتُنا الشيخ حياته لتهديمها ، موطناً نفسَه لكل ما يلقى أمثالُه من أمثالِهم ، فكان بين ممحص لمفهومٍ أو موضحٍ لمعضلةٍ . مُدافعاً عن رأيٍ أو نابذاً لمعتقدٍ فاسد بلغةِ الأديب المتمكنِ ولهجةِ العالِمِ المطمئنِ وسكينةِ العظيم المترفع عن السفاسفِ في القول والعمل . وقد ظلّتْ هذه سيرتَه طيلةَ حياته حتى وافاه الأجلُ ، ولبى داعيَ ربّه في السابعِ من شهر آذار عام ١٩٧٥ م تغمده الله بواسع رحمته وأسكنَهُ فسيحَ جنّته .

مؤلفاته

خلف العلاّمةُ الشيخ أحمد محمد حيدر عدداً من المؤلفاتِ بعضُها كتبٌ طوال ، وبعضُها رسائل صغارٌ . منها ما يتناولُ صلبَ عقيدةِ التوحيد ، كما جاءت على لسان الشارع العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وآل البيت المعصومين عليهم السلام ، وفي القرآن الكريم وبالنقل عن المحدثين الثقاة . ومنها ما يبسطُ فيه المؤلف المشكلات الفلسفيةَ الدقيقةَ كما يراها العقل والفلسفة ، محاولاً أنْ يمزجَ بينَ العلوم الإلهيةِ والعلومِ المادّيةِ والشرعية . إضافةً إلى ديوان شعرٍ صوفي رفيعِ المستوى ، وهذه المؤلفاتُ كلُّها تدلُّ على علوِّ همةِ علاّمتِنا الشيخِ ورسوخ قدمه في المعارف الإلهية وتعمقه في استنباط الحقائق الدينية ومعرفة دقائقها . . يضافُ إلى ذلك ما تشيرُ إليهِ من مهارةٍ فائقةٍ على التأليف وصبرٍ على أعباءِ جَمْعِ المعلوماتِ وتقصي الحقائقِ وتدقيقها . وقدرةٍ على جمعِ هذه المتفرقات لتغدو كلاً منسجماً موحداً في غايته وأهدافه واليك ما وقع بأيدينا من اسماء كتبه :

أ ـ الآثار المطبوعة :

١ ـ ما بعد القمر : وهو يعالجُ ماديّةَ الروح وروحانيةَ المادة ، فالمادةُ لها روحٌ هي وجودها ، والروحُ لها مادةٌ هي شكلُها . وكلُ شيء غنيٌ بذاتِهِ عن أن يصيرَ غيره . ويستعير العلاّمةُ بعضاً مما توصل إليه العلمُ فيزوده بأجنحة الوحي والخيال ليقدمهُ للناس شراباً يستلذه الواردون ـ وقد طبع هذا الكتاب القيم مرتين الأولى عام ١٩٧٢ م والثانية عام ١٩٨٤ م .

٢ ـ النغم القدسي : وهو ديوان شعر صوفي رفيع المستوى . وقد طبع مرتين الأولى عام ١٩٧٢ م والثانية عام ١٩٨٦ م .

٣ ـ التكوين والتجلي ، الطبعة الثانية دار الشمال (طرابلس لبنان ١٩٨٧ م)

٤ ـ كتابُ الخيرات : وفيه يبينُ علاّمتُنا الشيخُ منزلةَ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده .

ب ـ الآثار المخطوطة :

١ ـ كتاب اضبطة : وفيه يعالجُ المؤلفُ قضيةَ الإنسان من غيب الوجود إلى وجود الشهادة .

٢ ـ كتابُ النفحات واللفحات : ويشرح مسألةَ الخلاف بين علاّمتنا ورجال الدين في عصره .

٣ ـ تناثرُ الأوهام : وفيه يحاولُ العلاّمةُ ـ نصر الله وجهه ـ تبديدَ الأوهام المتعلقة بقدسية الكواكب وخاصةً القمر .

٤ ـ الدامغُ : ويشرحُ فيه علاّمتُنا الشيخُ موضوعَ النور والظلمة وما أثير حولهما من جدال بين علماء الدين في كل زمان .

د ـ شرحُ التنبيه : وهو دراسةٌ وتحليلٌ لكتاب التقيس المعروف «بالتنبيه» لمؤلفه الصوفي الشهير حسن بن حمزة الشيرازي ، من أبرز متصوفي القرن السابع الهجري . ويذكر مريدو علامتنا الجليل أنَّ له أثراً آخر هو «فلسفةُ العلويين» (وهو مفقود) .

هذه جملة الكتب التي ألّفها العلامةُ الشيخ أحمد محمد حيدر ، يُضافُ إليها العديدُ من الرسائل الإخوانية التي تعالجُ موضوعاً معيناً أو عدةَ موضوعاتٍ عرضتْ أيامَ المؤلف رحمه الله .

ضريح ومسجد العلامة احمد محمد حيدر